



وزير السيف والقلم عون الدين يحيى بن هبيرة الشيباني

(544-560هـ / 1149-1164م)

فريد ضو خليفة الغزال

قسم التاريخ كلية التربية صرمان / جامعة صبراتة

Fareed1191971@gmail.com

Minister of the Sword and the pen Awn al -Din Yahya ibn Hubayra al Shaybani (A.D

1164 - 1149 / A.H 560-544)

Farid Daw Khalifa Al-Ghazal

Department of History, Faculty of Education – Surman / Sabratha University

تاريخ الاستلام: 2026/08/10 تاريخ المراجعة: 2026 /08/25 تاريخ القبول: 2026/8/30- تاريخ النشر: 2026 /09/22

ملخص

يتناول هذا البحث شخصية الوزير يحيى بن هبيرة الشيباني قبل توليه الوزارة، حياته، ونشأته وطرق تحصيله للعلم، وكيفية توليه منصب الوزارة والظروف السياسية التي تمر بها الخلافة العباسية في تلك الفترة الزمنية، وتمسك كل من الخليفة المقتفي لأمر الله والخليفة المستنجد بالله بالوزير يحيى بن هبيرة، ودوره في الإصلاحات الإدارية والسياسية والعلمية في عهده، والتي كان لها دور كبير في تشكيل جيش قوي كبدية لمرحلة الكفاح من أجل استرداد حقوقهم وسلطتهم الدينية والزمنية بعد أن فقدوها لعدة قرون، وتأثير ذلك على استقلال الخلافة العباسية عن السيطرة السلجوقية، والحنكة والذكاء الذي يتصف به الوزير ابن هبيرة في تسيير أمور الخلافة، والقوة ورباطة الجأش التي فقدتها الخلافة العباسية في زرائها منذ فترة زمنية بعيدة زد عن ذلك الرأي الصائب وحب عمل الخير والعطف على الفقراء والإحسان بدل الإساءة والضرب على أيدي المخالفين والمفسدين والزج بهم في السجون وقيادة الجيوش كلها أشياء توفرت في شخصية الوزير يحيى بن هبيرة لتكون بمثابة أحجار كريمة في تاج الوزارة.

الكلمات المفتاحية: الخلافة العباسية، المقتفي لإمر الله، المستنجد بالله، يحيى بن هبيرة

Abstract :

This research examines the personality of Yahya ibn HURayrah al shaybani before he assumed the ministry including his life and upbringing His methods of asquiring knowledge, how he timed his ministerial post, and the political circumstances the Caliphate was going through the Abbasid Caliphate during that period and the adherence of both Caliph al-Muqtafi li-AmrAllah and Caliph al- mustanjid Billah Minister Yahya bin Hubayra and his role in the administrative, bolitical, and scientific reforms during his reign, Her major role was in forming a strong team as a starting point for the struggle to regain their rights, their religious and temporal ones, after losing it for several centuries and its impact on the independence of the Abbasid Caliphate Regarding the control over the Seljuks and the cunning and shrewdness that characterized the minister Ibn Hubayra in managing affairs the caliphate, power, and composure that the Abbasid caliphate lost in its ministers a long time ago in addition to that, sound judgment, a love for doing good, compassion for the poor, and kindness instead of harm, they strike down dissenters and corrupt individuals, imprisoning them and leading armies everything the personality of Minister Yahya bin Hubayra was such that it served as a precious gem in the crown of the ministry

المقدمة

تمر الخلافة العباسية في هذه الفترة (موضوع الدراسة) بظروف سياسية حساسة وبالغة الخطورة ، من خلال السيطرة السلجوقية على مفاصل الخلافة العباسية ، وإذعان دولاب سلطة الخلافة العباسية إلى السلطان السلجوقي ، مع وجود طموح للخلفاء العباسيين لإرجاع الهيبة والقوة للخلافة العباسية ، ومن هنا يكمن دور الوزارة في هذه الأحداث ، بعد أن همش دورها في فترات زمنية سابقة ، فقوة الخلافة تكمن في قوة الوزارة ، وقوة الوزارة تأتي من خلال شخصية الوزير القوية ، والذي تجتمع فيه كل الصفات القيادية ، وعلى هذا الأساس تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بشخصية الوزير يحيى بن هبيرة ، وكيف استطاع أن يجمع بين السيف والقلم ، من خلال الإصلاح الإداري وقيادة الجيوش ، مستعيناً على ذلك، بدينه ، وخلقه وحكمته ليقود الوزارة والخلافة نحو بر الأمان ، ويرسي مبادئ جديدة للوزارة في ظل التسلط السلجوقي وفي بيئة مليئة بالمؤامرات والدسائس والفتن ، ومع ذلك استطاع أن يكون له رأي جامع وشامل في إرساء دعائم الاستقرار السياسي للخلافة العباسية في عهدي كل من الخليفة المقتفي لإمر الله والخليفة المستنجد بالله العباسيين، ليتم الإجابة على عدة تساؤلات .

أ. مولد ونشأة يحيى بن هبيرة.

ب. كيف أستطاع الوزير يحيى بن هبيرة أن يصل إلى هذه المرتبة العالية في تحصيله للعلم واهم المشائخ الذين تتلمذ علي أيديهم .

ت. كيف أستطاع ابن هبيرة الوصول إلى الوزارة .

ث. ماهي الظروف السياسية للخلافة العباسية في تلك الفترة الزمنية .

ج. أهم الإصلاحات التي قام بها الوزير يحيى بن هبيرة .

للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها ولتوضيح بعض الملابسات ، وكان تقسيم هذا العمل على النحو التالي

- 1- ابن هبيرة : المولد والنشأة .
 - 2- الخلفية الثقافية والعلمية للوزير يحيى بن هبيرة ودورها في مساندة الخلافة العباسية .
 - 3- الأوضاع السياسية للخلافة العباسية قبل تولي يحيى بن هبيرة الوزارة .
 - 4- الوزير يحيى بن هبيرة والإصلاحات الإدارية والسياسية وتأثير ذلك على الخلافة العباسية .
- لقد تم الاعتماد على العديد من المصادر والمراجع والبحوث العلمية لتغطية الجوانب الحياتية والسياسية والفكرية للوزير يحيى بن هبيرة وكذلك للخلافة العباسية وصراعها مع الدولة السلجوقية، وأهمها سيرة الوزير يحيى بن هبيرة لابن المارستانية عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة الطبيب المؤرخ (ت 599هـ/1203م) وهذا المصدر المهم عن حياة الوزير يحيى بن هبيرة مفقود . ولقد وصل إلينا هذا الكتاب في إشارات لذيلى على الطبقات الحنبلة للحافظ عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي (ت 790هـ/1392م) وكتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت 597هـ/1200م) والذي غطى مساحة كبيرة من حياة الوزير وجوانبه العلمية والسياسية والإدارية وكتاب خريدة القصر وجريدة العصر لأبي عبيد الله عماد الدين محمد بن صفى الدين المعروف بالعماد الأصبهاني الكاتب (ت 597هـ/1200م) كان قريباً جداً من الوزير يحيى بن هبيرة وقد ولاه العديد من الأعمال الإدارية أثناء إدارته ومنها ولايته عن مدينة واسط نيابة عنه ، ويعتبر هذا الكتاب شاهد عيان على تلك الأحداث ومصدر مهم في توثيق المعلومة التاريخية ، وكتاب زبدة التواريخ وأخبار الأمراء والملوك السلجوقية للمؤلف صدر الدين علي بن ناصر الحسيني (ت 622هـ/1225م) وعلى الرغم من بعد الفترة الزمنية وتخصص الكتاب في تاريخ الدولة السلجوقية إلا أن هذا الكتاب يعتبر من المصادر المهمة لاحتوائه على معلومات مهمة على الوزير يحيى بن هبيرة في العديد من الجوانب الإدارية والسياسية والحربية في مواجهة خصومه (1) ، إلى جانب العديد من المصادر والمراجع والبحوث العلمية التي عالجت هذه الفترة .

أولاً : ابن هبيرة مولده ونشأته .

هو أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد الشيباني(2)، ولد في سنة (499هـ/1105م) (3) في قرية يقال لها بني أوقر من أعمال دجيل (4) ، عاش حياة الفقر حتى قيل أنه لا يجد قوت يومه (5) ، حتى أنه ذكر حاله عند توليه الوزارة فيقول " كان عندنا في القرية نخلة في المسجد تحمل ألف رطل تمر ، فكان أخي معين الدين يقول ياأخي كفانا بهذه " (6) ومع ذلك كان أبوه يهتم به كثيراً ، فقد حرص على تعليمه ، فكان يرسله إلى بغداد لحضور مجالس العلم والأدب (7) ، ومع شدة الفقر وجوره ، ومكابدة الأحوال حيث توفي والده وهو لا يزال شاباً يافعاً ، فتقلب به الظروف ، وكثرت عليه المحن والشدائد فاضطرته الأحوال السيئة إلى توفير لقمة العيش(8) ، فهاجر إلى بغداد وهو في سن الشباب (9) ومع هذا كله لم يثنى عزمه على مجالسة كبار العلماء والشيوخ ، ونهل العلم من مدارس بغداد المتعددة ، وجالس كبار العلماء والفقهاء والأدباء ، فأشتغل بالعلم ، حتى عم فيضه وسبر غوره ، ولا يخفى علينا مركز بغداد في تلك الأزمان ، فكانت مقصد كل ذي حاجة ، وغاية أصحاب المطامح ، وكان ابن هبيرة على مذهب الإمام حنبل رضي الله عنه فسمع الحديث ، وقراء الكتاب العزيز ، وجمع الروايات ، وأطلع على أيام العرب ، فكان يجيد علم النحو وصناعة الإنشاء(10) ، وهذا لايتأتى الا من خلال مجالسة كبار علماء عصره فأخذ عنهم ، وسمع الكثير منهم(11) ، ومنهم القاضي

ابن أبي يعلى محمد بن محمد بن الحسين ابن الفراء (ت526هـ/1131م) وكان من كبار الفقهاء الحنابلة في زمانه ، وله عدة تصانيف في الأصول والعقائد (12) ، وكذلك استفاد من علي بن عبيد الله بن نصر بن السري أبو الحسن بن الزغواني(ت527هـ/1132م) من أعيان الحنابلة في بغداد جمع بين التأليف والقراءة والخطب والمواظب في جامع المنصور قبل الصلاة (13) ، أما الحديث أخذ من محدث بغداد الثقة عبد الوهاب بن مبارك بن أحمد أبو البركات الأنماطي (ت538هـ/1143م) (14) ، وأبو غالب بن البناء أحمد بن الحسن بن أحمد البغدادي (ت527هـ/1132م) (15) ، وسمع أيضاً من أبي القاسم بن الحسين هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الشيباني(ت525هـ/1130م) (16) ، أما بالنسبة لعلم الفقه فقد أخذ من فقيه بغداد وصاحب التصانيف المشهورة أحمد بن محمد بن أحمد الدينوري (ت532هـ/1137م) (17) وبرع ابن هبيرة في هذا العلم على يديه ، كما جمع بين صنوف المعارف ، حيث أخذ اللغة والأدب من إمام عصره صاحب كتاب (المعرب) ومدرس المدرسة النظامية أبي منصور أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت540هـ/1145م) (18) ، وكذلك أخذ النحو واللغة من الواعظ الزاهد والأديب محمد بن يحيى بن علي بن الزبيدي (ت555هـ/1160م) (19) وبذلك أستطاع يحيى بن هبيرة أن يوظف جميع إمكانياته العلمية والثقافية في خدمة الخلافة العباسية .

ثانياً: الخلفية الدينية والثقافية والعلمية للوزير يحيى بن هبيرة ودورها في مساندة الخلافة العباسية .

لعل الخلفية الثقافية والعلمية التي يتمتع بها ابن هبيرة ، ومع الصفات والمزايا والمحاسن الدينية والخلقية جعلته يخوض غمار التأليف في شتى أنواع المعارف ، ومنها كتاب الإفصاح عن معاني الصحاح ، هذا الكتاب يحتوي على عدة مجلدات شرح فيها لصحيح البخاري ومسلم (20) كما صنف كتاباً في النحو وهو المقتصد وأختصر كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت ، وصنف كتاب العبادات الخمسة على مذهب الإمام أحمد (21) ، وهنا لابد من الإشارة إلى أن الوزير يحيى بن هبيرة كان من رواد المذهب الحنبلي ، وأن جميع هذه المصادر التي أرخت للوزير ابن هبيرة كانوا من أصحاب المذهب الحنبلي (22) ، كما كان للمذهب الشافعي أصحابه منذ أيام الوزير السلجوقي الحسين بن علي بن إسحاق الطوسي الشافعي (485هـ/1092م) (23) ، الذي أسس المدرسة النظامية في بغداد وجعلها على المذهب الشافعي (24) ، وهذا بطبيعة الحال يعطينا انطباع واضح على الصراع المذهبي في العراق ، في القرنين الخامس والسادس الهجريين (25) ، هذا الصراع الذي أشتد ، حتى نال من حياة الناس في تلك الفترة ، فقد خضعت المدارس والمساجد لأصحاب المذهب ، واشترط فيها شيوخها ومعلميها على طلابها أن يكونوا على مذهب واحد ، لقد أضرت ممارسات أصحاب هذه المذهب ببغداد ومدن العراق الأخرى ، وأنتبه الوزير يحيى بن هبيرة لهذه المسألة وحضر منها بقوله إن إختصاص المساجد ببعض أرباب المذاهب بدعة محدثة ، فلا يقال هذه مساجد أصحاب أحمد ، فيمنع منا أصحاب الشافعي ، ولا بالعكس فإن هذا من البدع ، وإما المدارس فقال : لا ينبغي أن يضيق في الاشتراط على المسلمين فيها ، فإن المسلمين فيها أخوه ، فينبغي أن يكون في اشتراطها ما يقع لعباد الله ، فإني امتنعت من دخول مدرسة شرط فيها شروط لم أجدها عندي (26) ، وعلى الرغم من أن الوزير ابن هبيرة كانت شهرته منبعها من عمله وإدارته وخلقته وإصلاحاته الكبيرة إلا أن هذا الصراع كان مستشرياً في أروقة الخلافة العباسية ، ولعل إسهامات الوزير ابن هبيرة في علم الخط والإنشاء جعل له مكاناً إدارياً في دولا ب سلطة الخلافة في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله (530-555هـ/1135-1160م) ، لقد ساعدته مكانته العلمية والثقافية على اكتساب احترام وود العلماء والفقهاء ، كما كانت عوناً له على التدرج في تولي المناصب الإدارية ، حتى وصوله إلى منصب الوزارة ، فقد ألجأته الحاجة والعوز إلى الدخول ككاتب في ديوان الإنشاء ، ولم يعلم أن القدر يخبئ له مستقبلاً واعداً وهو الخوض في غمار الحياة السياسية وهذا العمل يتطلب منه الجهد والمتابعة وهو بطبيعة الحال مغايراً لحياة العلم والعلماء إلا أن خوضه في العمل السياسي أثبت أنه على قدر كبير من الحكمة والقدرة على اتخاذ القرارات الصائبة في ظروف سياسية حساسة وخطيرة تمثل قمة الصراع بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية ، فمنذ أن وطأت قدمه المؤسسة الإدارية في الخلافة العباسية ، وكان ذلك في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله ، من كاتب إلى مشرف على المخزن (بيت مال) إلى صعوده إلى سلم المجد عندما تسلم ديوان الزمام (ديوان الخلافة والبلاط) ليكون على اتصال مباشر مع الخلافة العباسية ، ومع توالي الأيام وتطور الأحداث ، تتجلى شخصية الوزير يحيى بن هبيرة في داخل دواليب السلطة ، ويرى فيه الخليفة المقتفي لأمر الله الشخصية المناسبة والتي سوف يعتمد عليها في مشروعه القادم في استعادة الهيبة والقوة للخلافة العباسية ، حيث أظهر أمانة وقدرة وكفاءة وصرامة ونصحاء ورأي لا مثيل له في فترة توليه ديوان الزمام (27) ومنها الحادثة التي تعرضت لها بغداد في سنة (543هـ/1148م) حيث تجدد الصراع بين السلطان مسعود (524-547هـ/1132-1152م) وبين منافسيه على السلطنة ، فقد حُصرت بغداد بمجموعة من الأمراء السلاجقة بقيادة الملك محمد شاه بن محمد ابن ملك شاه ، بهدف إسقاط سلطنة مسعود السلجوقي وتنصيب محمد بن شاه سلطاناً على سلاجقة العراق ، فأخذوا بمحاصرتهم مدينة بغداد ولم تفلح كل المحاولات التي بذلها الخليفة ، وأخيراً طلب المحاصرون مبلغاً مالياً وقدره ثلاثون ألف دينار ل فك الحصار على بغداد ، فاستشار الخليفة خاصته فنصحوه بأن يلبي لهم طلباتهم ،

إلا أن يحيى بن هبيرة وهو كان يرئس ديوان الزمام آن ذاك كان له رأي آخر فقد أشار على الخليفة المقتفي لأمر الله باتخاذ العسكر والتصدي للمحاصرين وعدم الإذعان لمطالبهم بقوله "هؤلاء قوم خرجوا عليك وعلى السلطان وجاهروكما بالعصيان ، فأجعل الله بالإستجارة ، وقدم له بالإستخارة ، وأنفق على ما عزمت بذله لهم ، في عسكر يقاومهم ويدفع شرهم فأنتك أن دفعتهم بالعطاء لم تسلم من عتب السلطان مسعود وأن هزمتهم باللقاء قلت له أنني فلتت جنود عصيانك من أهل طاعتك بجنودك وأنت لا تحمد على ما تحمل ولا تشكر على ما تعمل " (28) ، وكذلك من المواقف التي تدل على حنكته ومقدرته السياسية والإدارية في أثناء توليه ديوان الزمام وهو أن مسعود البلالي شحنة بغداد والذي كان نائباً على السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، قد أساء الأدب مع دار الخلافة وما أحدثه أصحابه من فساد في بغداد ، وخرجهم عن المألوف في المعاملات ، وكان الوزير في تلك الفترة علي بن صدف قد أرسل عدة رسائل إلى السلطان مسعود يطلب منه كف شحنته في بغداد عن هذه الأعمال ولكن دون جدوى ، فلم يفلح الوزير في ذلك ، فطلب ابن هبيرة من الخليفة المقتفي لأمر الله الإذن في مخاطبته ، فبعث له رسالة مطولة فلم يمتض وقت حتى جاء رد السلطان اعتذاراً وألزم لمسعود البلالي وأنكار أعماله فاستبشر الخليفة بذلك ، وفرح فرحاً شديداً ، فزادة مكانته يحيى بن هبيرة في أعين الخليفة وحسن موقعه (29) ، ولعل ما يميز الوزير ابن هبيرة هو دينه وورعه وتقواه ، حتى قيل أنه لم يلبس الحرير قط ، وكان دائماً يتحدث بنعم الله عليه ، وأنه عندما يجتاز أسواق بغداد يرفع صوته بذكر الله وتحميده وتسبيحه ، وكان يقول "اتباع السنة سبب لكل خير " (30) ، ومن جملة ما ذكر أنه عند رجوعه من إحدى المهام دخل على الخليفة المقتفي فقال له : ادخل هذا البيت فغير ثيابك قال ابن هبيرة فدخلت فإذا خادم وفراش ومعهما حرير ، فقلت أنا والله ما ألبس هذه " (31) ويذكر عماد الحنبلي أن صنيع الوزير ابن هبيرة هذا لا يفعله قضاة زماننا ولا خطبائهم " (32) ويختم القول ابن المارستانية بقوله " وكان لا يلبس ثوباً يزيد فيه إلا برسم على القطن " (33) كما كان يداوم قراءة القرآن والصلاة والصيام ، ومن صدق أمانته أنه لم يحاب المستنجد قبل توليه الخلافة على حياة والده المقتفي لأمر الله ، حين أرسل المستنجد إلى ابن هبيرة كتاباً مختوماً فقال ابن هبيرة للرسول : " ارجع إليه وقل له : إن كان فيه ما تكره أن يعلم به أمير المؤمنين فلا حاجة لك في فتحه؛ فإنني أعرفه ما فيه ، وإن لم تكن تكره اطلاعه عليه فافتحه ، ثم أعطه الرسول ، فمضى ولم يعد ، وجعل في نفسه من ذلك شيء ، فلما توفي المقتفي وولي المستنجد أمر بحضوره للمبايعة " (34) ، وولاه الوزارة ، وقال ابن هبيرة له " يكفيني في إخلاصي أني ما حابيتك في زمن أبوك فقال : صدقت " (35) ، كما عرف عنه أنه يسعى في قضاء حوائج الناس والنظر في المظالم دون تفريق بين غني وفقير ، فذات يوم دخل عليه نقيب نقباء الطالبين الطاهر بن أحمد بن علي الحسيني (36) ، حين سأله رفع رقعة له إلى الخليفة المستنجد ، وأن يتكلم له عند عرضها ولا يهملها ، فتبسم ابن هبيرة ، وقال والله ما أهملت لأحد رقعة قط ، ولا حاجة حضرتي ذكرها ، ثم ذكر ابن هبيرة ، بعد كلامه حكاية عن الوزير ابن العميد (37) ، " أنه وعد رجلاً النظر في ظلامته ومظلة وسؤفه وقال : سننظر فيها : فقال له بعض أصحابه : هذا كلام من لا يعرف دبيب الساعات في انخرام الدول ، فانتبه لها ابن العميد والآن يتولى رفع ظلمات المتظلمين (38) زد عن ذلك فقد كان غفيف النفس ، موصف بالبر والمعروف ، وكان يقول في قصيدة له " (39) .

تعود فعال الخير جمعاً فكلما تعود الانسان صار له خُلُقاً

فلم يمد يده إلى أموال الخلافة ، ولم ينفقها في غير مصلحة الخلافة ، كالشعراء وامثالهم ومع ذلك فقد كان جواداً كريماً ينفق من ماله الخاص والذي كان يبلغ مائة ألف دينار سنوياً (40) على الفقراء وأصحاب الحاجات " وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء وكانت أمواله مبدولة لهم وللتدبير ، فكانت السنة تدور وعليه ديون ، وقال ابن هبيرة : " ما وجبت علي زكاة قط " (41) وقال أحد الشعراء في وصفه ذلك :

يقولون يحي لا زكاة لماله وكيف يزكى المال من هو باذله
إذا دار حول لا يرى في بيوته من المال إلا ذكره وفضائله

ومن أعمال البر أيضاً إنشاء المساجد والمدارس ، حيث ذكر أنه بنى بقريته الدور جامعاً ومنارة (42) ، كذلك بنى المدرسة التي دفن فيها بباب البصرة في بغداد (43) ، وكان الوزير ابن هبيرة شديد التواضع رافضاً للكبر محباً للفقراء ، يحدث الناس في الأسواق ، فقد اكتسب هذه الصفات من حياته بقريته في الدور ، ولم يكن يعييه أن يحدث الناس عن حياته من شدة الفقر والحاجة إلى رغيف الخبز وهو في منصب الوزارة (44) ، فقد أورد ابن المارستانية قصة الشيخ الذي قدم من مدينة الدور يريد السلام على الوزير ، فمنعه الحاجب بسبب شلمة كانت معه ، فامر الوزير أن يدخل ومعه الشلمة ، فدخل وعرف بنفسه وقال : إن أم أولادي حين عرفت بمقامي إلى بغداد قالت لي " بالله سلم على الشيخ يحي عني ، وادفع له هذه الشلمة فقد خبزتها على اسمه ، فتبسم الوزير وأقبل عليه وقال : الهدية لمن حضر ، وأمر بحلها ، فإذا فيها خبز شعير ، فأخذ الوزير منه رغيفين وفرق الباقي ، وقال هذا شيخ قد تقدمت له صحبتي قديماً ، ولم يظهر منه تأفف ولا تكبر عليه بل أحسن لقاءه وقضى حوائجه وأجزل له العطاء (45) ، تلك عينه بسيطة من محاسن ومكارم الوزير يحيى بن هبيرة إذ كان ذات يوم بعد أن

خرج الفقراء بعد الطعام ، إذا بضريير يبكي ويقول : سرقوا مداسي وما أقدر على ثمن مداس ، فقام الوزير من مجلسه ولبس حذاءه وجاء إلى الضريير وهو لا يعرف الوزير فخلع الحذاء “ وقال للضريير : البس هذا وابصره على قدر رجلك ، فلبسه وقال نعم ، لا إله إلا الله كأنه مداسي ، ومضى الضريير ، ورجع الوزير إلى مجلسه وهو يقول : سلمت منه أن يقول أنت سرقته “ (46) ، وهذا دليل دامغ وواضح على أن الوزير يحيى بن هبيرة لم يكن صاحب جاه وحرس ، بل إن البساطة هي من جعلت هذا الضريير لا يتعرف على الوزير يحيى بن هبيرة ، وهناك من الأمثلة العديدة على شهامته وعفوه وحلمه ورباطة جأشه ، منها ما ذكرها ابن هبيرة مما رواه عنه ابن الجوزي قال : لما جلس في الديوان في أول وزارته أحضر رجلاً من غلمان الديوان فقال : دخلت يوماً إلى هذا الديوان ففعدت في مكان فجاء هذا فأقامني وقال : قم فليس هذا موضعك ، فأكرمه وأعطاه “ (47) ، ورواية أخرى تدل على حلم الوزير وعفوه ، يحكى أن أحد الأتراك يعمل شحنة (48) ، في إحدى القرى أخذ عدداً من مشايخها بسبب قتل ، وكان من بين هؤلاء الوزير يحيى بن هبيرة ، حيث ساقهم جميعاً أمام الفرس ونال من الوزير ضرباً وتقريعاً ، وبعد تولي يحيى بن هبيرة الوزارة وجدته أمامه في الخدمة فأمر بإعطائه مالاً وصرفه (49) وحكايته مع أبي محمد الأشتري ، أحد علماء المالكية تدل على خلقه وعفوه على الرغم من أن المخطئ هو الفقيه المالكي وتعصبه لمذهبه بدون دليل وذلك أن هذا الفقيه يحضر مجلس الوزير العلمي ، ووردت مسألة ذكر الوزير ومن معه تفرد الإمام أحمد بها ، ولكن الفقيه المالكي ذكر إن الإمام مالك هو من تفرد بهذه المسألة ، فبدرت من الوزير كلمة غير لائقة في حق المالكية ، ولا تليق بالأدب فطلب الوزير القصاص وأخذ الوزير يعتذر والفقيه يعتذر فضج المجلس بالبكاء (50) ، وفي حادثه أخرى نختتم بها مآثر وأخلاق الوزير يحيى بن هبيرة ، وهذه القصة تدل على رباطة جأش الوزير يحيى بن هبيرة وقوة صبره وشجاعته وذكر “ كنا يوم عنده والمجلس خاص بولاية الدين والدنيا ، والأعيان والأمائل ، وابن النافع يقرأ عليه الحديث ، إذ فاجأنا من باب الستروراء ظهر الوزير صراخ بشع وصياح يرتفع فاضطرب له المجلس ، وراتاع الحاضرون ، والوزير ساكن ساكت ، حتى أنهى ابن الشافع قراءة الإسناد ومنتته ثم أشار الوزير إلى الجماعة على رسلكم ، ثم قام ودخل الستر ولم يلبث أن خرج ، فجلس وتقدم بالقراءة ، فدعا له ابن شافع والحاضرون ، وقالوا : قد أزعجنا ذلك الصياح فإن رأى مولانا أن يعرفنا سببه فقال الوزير : حتى ينتهي المجلس ، وعاد ابن شافع إلى القراءة حتى غابت الشمس وقلوب الجماعة متعلقة بمعرفة الحال ، فعادوه ، فقال : كان لي ابن صغير مات حين سمعتم الصياح ، ولو لا تعيين الأمر علي بالأمر بالمعروف في الإنكار عليهم ذلك الصياح لما قمت عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعجب الحاضرون من صبره “ (51) ، كل هذه المآثر وحسن الخلق وكمال الدين جاءت من طيب المنبت فأشاد بها الخلفاء قبل العلماء والفقهاء وكان الخليفة المقتفي ، لأمر الله (52) يقول “ ماوزر لبني عباس مثله “ (53) ، أما ابن الطقطقي فقال : وكان المقتفي والمستنجد (54) ، يقولان : ما وزر لبني العباس كبجي ابن هبيرة في جميع أحواله (55) “ كما كان مكرماً لأهل العلم ، يحضر مجالسه الفضلاء على اختلاف فنونهم ، يقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره (56) وكان عالماً فاضلاً عابداً ، ذا رأي صائب وسريرة صالحة ، ظهرت منه كفاية تامة وقيام بأعباء الملك حتى شكره الخاص والعام ، ويقراء عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ويجري البحث والفوائد ما يكثُر ذكره ، وكان مقرباً لأهل العلم والدين ، كريماً طيب الخلق عفيفاً في ولايته محموداً في وزارته كثير البر والمعروف يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم جميل المذهب شديد التظاهر بالسنة “ (57) ، أما ابن الجوزي فقد ذكر عنه “ كان متشدداً في اتباع السنة وسير السلف وكان يجتهد في اتباع الصواب ويحذر الظلم ، ولا يلبس الحرير وما وجبت عليه زكاة قط وكان يتأسف على ماضي زمانه عن تندم ما دخل فيه “ (58) ، هذه بعض الحقائق التي ذكرها ثلة ممن عاصروا زمن الوزير يحيى بن هبيرة ، أو حتى من جاءوا بعده لتكتمل الصورة عن شخصية صفاتها الظروف والمحن وأكسبتها الأيام علم وحكمة وحسن تصرف هذه الصفات الجليلة والأخلاق العظيمة والمزيا الحسنة ، حيث كان متشدداً في اتباع السنة وسير السلف في زمن كثرت فيه الاضطرابات وتعددت فيه المحن على الخلافة العباسية وكثر فيه جور أبناء سلجوق على مفاصل الخلافة بإثارة الفتن ، فكان للخلفاء رأي آخر .

ثالثاً : الأوضاع السياسية للخلافة العباسية قبل تولي يحيى بن هبيرة الوزارة .

اتسمت الأوضاع السياسية للخلافة العباسية قبل تولي يحيى بن هبيرة الوزارة بتعقيد الشديد إذ تراجعت سلطة الخلفاء العباسيين بشكل كبير جداً ، حتى بعد أن أستبشر الخلفاء العباسيون بالسلاجقة السنيين خيراً ، وذلك لتقارب المذهبي على عكس البويهيين أصحاب المذهب الشيعي إلا أن الحال لم يتغير ، بل أن السلاجقة كانوا أشد وطأة من غيرهم على الخلفاء ، حيث تجرأ السلاطين على أمور لم تحدث سابقاً وهي الزواج من بنات الخلفاء وتعيين وزراء وفرضهم على الخلفاء ، كما لعب نواب السلاطين في بغداد مثل الشحنة دوراً كبيراً في تحديد صلاحيات الخلفاء والضغط عليهم ومراقبتهم أحياناً والتعدي علي حقوقهم بتنفيذاً لأوامر السلاطين (59) ، لقد تعامل السلاطين السلاجقة مع الخلافة العباسية كقوة مهزومة حيث حصرت كل صلاحيات الخلفاء في الأمور الدينية فقط ، أما السياسة والحكم فكانت من صلاحيات السلاطين ، بحيث أصبح الصراع والنزاع على أشده فكل منهم يسعى إلى تحقيق أهدافه ، فالخلفاء العباسيون هذا حقهم اغتصب منهم لعدة أزمنة وضرورة رجوعه

بفضل الصحة وقوة الشخصية وتوفر عدة ظروف لذلك أما السلاطين السلاجقة فهذه فلسفة المنتصر له جميع الحقوق السياسية في الحكم وفرض الهيمنة والطبيعي في بداية الأمر وخاصة في عهد السلاطين السلاجقة الأقوياء أمثال طغرل بك ، وألب أرسلان وملكشاه لم يكن الخلفاء العباسيين بذلك النظام والقوة للمطالبة بحقوقهم الشرعية المغتصبة (60) ، ولكن مع أعتلى الخليفة المسترشد بالله العباسي سنة (512-529/1118-1134م) حيث تجمع جميع المصادر التاريخية أن هذا الخليفة أتصف بصفات جعلته هو صاحب الفكره الأولى في إعادة الهيبة للخلافة العباسية من خلال شخصيته القوية وشجاعته التي أهله لأخذ القرارات المصيرية في مواجهة السلاطين السلاجقة، وكذلك بسبب تدين الخليفة واحترام الناس له ومحبيه وتأييده من قبل العلماء والفقهاء ورجال الخلافة الذين كانوا معه في خندق واحد ضد الظلم والتسلط السلجوقي (61) ، حيث أشاد المؤرخون بذلك فقد ذكر ابن الجوزي “ كان له همة عالية ، وشجاعة وإقدام وكان يباشر الحروب ” (62) اما ابن الأثير فقد ذكر “ أما المسترشد بالله فإنه استبد بالعراق بعد السلطان محمود ولم يكن للسلطان معه في غير الأوقات سوى الخطبة ، واجتمعت عليه العساكر ، وقاد الجيوش وباشر الحروب(63) “ فيما يرى ابن كثير “ أن المسترشد كان كثير العبادة محبباً إلى العامة والخاصة وهو آخر خليفة رأى خطيباً” (64) وعلى الرغم من الجهود التي قام بها الخليفة المسترشد بالله في استعادة النفوذ الزمني للخلافة ، إلا أنه دفع حياته مقابل ذلك ، لقوة السلطنة السلجوقية ، وعدم ترسخ فكرة أحياء الهيبة للخلافة العباسية في عموم الرعية، ولكن في نهاية الأمر أفرزت هذه الأحداث نتائج كان لها دور كبير في مستقبل الخلافة العباسية ، من خلال وعي الخلفاء العباسيين وحرصهم التام على إنشاء جيش خاص بهم وهذا الأمر يعتبر استراتيجياً وغاية في الأهمية والمعروف أن الخلافة العباسية لم يعد لها جيش خاص بها منذ تغلب البويهيين على الخلافة ، وبمقتل الخليفة المسترشد بالله (529هـ/1134م) ومحاولة ابنه الراشد أن يسير على خطى والده ، والأخذ بثأره إلا أنه واجه نفس المصير ذاته حيث دبرت مؤامرة لخلعه عن الخلافة وعلى أثرها مات في ظروف غامضة في سنة (532هـ/1137م) لتكون هاتين المحاولتين نقطة البداية والإنطلاق نحو تحقيق أهداف الخلفاء العباسيين في الاستقلال بالخلافة وتكوين جيش خاص بها (65) وبأعتلى الخليفة المقتفي لأمر الله الخلافة في سنة (530-555هـ/1135-1160م) حيث كان اختياره بناء على تزكية الوزير أبو القاسم علي بن طراد الزيني، وكمال الدين ابن طلحة صاحب المخزن، ومؤيد الدين ابن الأنباري كاتب الإنشاء ، على أن يضمنوا عدم خروجه على السلطان مسعود ووافقوا على ذلك وتمت البيعة (66) بشروط التي ذكرها السلطان مسعود لهؤلاء الثلاثة “ لا أريد أن يجلس إلا من لا يداخل نفسه في غير أمور الدين ، ولا يجند ، ولا يتخذ ، ولا يجمع ، ولا يخرج على ولا على أهل بيتي “ (67) ، ويذكر ابن الجوزي في ذلك “ وقيل بل يبيعوه على أن لا يكون عنده خيل ولا آلة سفر وأخذوا جوارى وخادمت وغلمان “ (68) وهذا بطبيعة الحال ما أكدته الأحداث القادمة ففي سنة (543هـ/1148م) تعرضت بغداد لهجوم من الملك محمد شاه فبعث الخليفة برسالة للسلطان مسعود يقول فيها “ وقد أحاط العسكر بالبلد ، وما يمكنني أن آخذ عسكراً لأجل العهد الذي بيننا “ (69) وهذا دليل واضح على أن الخليفة المقتفي بايع على عدم وجود جيش لديه والتزم بهذا العهد ولكن الظروف تتغير وتنبدل وهذا ما كان يطمح له الخليفة المقتفي لأمر الله فالصراع على السلطة بين الأمراء السلاجقة ، وضعف السلاطين مهد الطريق أمام الخليفة المقتفي لأمر الله للأحياء مشروع الخلافة في الاستقلال فوجد الفرصة مواتية وخاصة عندما توجهت جموع من الأمراء السلاجقة يتقدمهم الملك محمد شاه وأيلدكز المسعودي صاحب كنجة وأراينة وصاحب شحنة واسط طرنطاي المحمودي ، وعلي ابن دببص صاحب الحلة إلى بغداد بهدف إسقاط سلطنة مسعود وتنصيب محمد بن محمود ابن ملكشاه سلطاناً على سلاجقة العراق فقام الخليفة المقتفي لأمر الله بمعالجة الأمر بحنكته السياسية حيث أرسل الواعظ العبادي لإقناع الأمراء السلاجقة بعدم التعرض إلى بغداد ، وعلى الرغم من فشل هذا المسعى ، إلا أن الخليفة المقتفي استغل هذه الفرصة فبعث إلى السلطان مسعود يخبره بواقع الحال ، ويعلمه بهروب شحنة بغداد مسعود البلالي المكلف بالدفاع عن بغداد إلى تكريت ، حيث ذكر “ أما الشحنة الذي من قبلك فقد هرب هو وأمير الحاج إلى تكريت وأحاط العسكر بالبلد وما يمكنني أن آخذ العسكر لأجل العهد الذي بيننا فدبر الآن فقد بلغ السيل الزبا “ حيث جاء رد السلطان مسعود متوافق مع توجهات الخليفة المقتفي لأمر الله عندما أرسل إليه قائلاً “ قد برئت ذمة أمير المؤمنين من العهد الذي بيننا وقد أدنت لك أن تجند عسكراً وتحتاط لنفسك وللمسلمين “ (70) وبهذه الكيفية استطاع الخليفة المقتفي لأمر الله أن يستغل هذه الحادثة للتخلص من التزاماته التي وعد بها للسلطان مسعود ، وهذا كله راجع إلى عبقرية الوزير يحيى بن هبيرة عندما كان يشغل نيوان الزمام ، حيث أشار على الخليفة بعدم الإذعان للمحاصرين والتصدي لهم ، وتجنيد الجند (71) ، وبهذه الطريقة الجريئة والخطيرة استطاع الخليفة المقتفي الإعداد لهذه المواجهة وذلك في الشروع في تحصين بغداد وعمارة السور وحفر الخنادق حيث ذكر “ وخرج أمر الخليفة في سنة 543هـ بالشروع في عمارة سور بغداد وحفر الخنادق وتحصينها ، وإلزام الأمثال والتناء ، وكبار المزارعين والتجار وأعيان الرعايا القيام بما ينفق على المعمارات من أموالهم على سبيل القرضة والمعونة “ (72) وجلس المقتفي في منظره الخليفة واستعراض العسكر ، وحفرت الخنادق ببغداد (73) ، وبهذه

الأحداث فقد شارك جميع أطراف أهل بغداد في الذود عن مدينتهم والتصدي للمهاجمين “ ونودي بلبس العوام السلاح وأن يمنعوا عن أنفسهم وأموالهم “ ، وبطبيعة الحال كانت هذه الإجراءات التي اتخذها الخليفة المقتفي لأمر الله ضد الأمراء السلاجقة لما أحدثه هؤلاء من دمار وفساد وإلحاق الأذى بأهل العراق (74) وبهذه الطريقة استطاع الخليفة من تكوين جيش خاص بالخلافة العباسية بعد سنوات عديدة من النضال حيث ذكر الأصبهاني “ وصار من ذلك اليوم للخليفة جند “ (75) وبفضل سياسة الخليفة وحنكة الوزير ابن هبيرة الذي كان يتأسس ديوان الزمام من إشراك العامة وأعيانهم وتجارهم وحتى الشطار في الدفاع عن المدينة (76) ، لتبدأ مرحلة يحيى بن هبيرة في استلام زمام أمور الوزارة ومرحلة جديدة في الإصلاح والتصدي للسلاجقة وإعادة الهيبة للخلافة العباسية بفضل سياسة الخليفة ودهاء وحكمة الوزير ابن هبيرة .

رابعاً : الوزير يحيى ابن هبيرة والأصلاحيات الإدارية والسياسية وتأثير ذلك على الخلافة العباسية .

لقد أظهر يحيى بن هبيرة مهارة فائقة وحسن تدبير ومشورة صادقة للخليفة المقتفي لأمر الله مما جعل الأخير يكافأه بأن قلده منصب رفيع في الخلافة وهو منصب الوزارة في سنة (544هـ/1149م) حيث استدعاه “ لما وصل إلى باب الحجرة استدعي فدخل وقد جلس له المقتفي لأمر الله بميمنة التاج ، فقبل الأرض وسلم ، وتحدث ساعة بما لم يحط به غيرهما علماً ثم خرج وقد جهزوا له التشريفات على عادة الوزراء فلبسه ، ثم استدعي ثانياً فقبل الأرض ودعا بدعاء أعجب الخليفة ، ثم أن عون الدين خرج فقدم له حصان أدهم سائل الغرة محجل وخرج بين يديه أرباب المناصب وأعيان الدولة وأمراء الحضرة وجميع خدام الخلافة ، وسائر حجاب الديوان والطبول تضرب أمامه والمسند (خلع الخليفة) وراءه محمول على عاتقهم في ذلك ، حتى دخل الديوان ونزل على طرف الديوان وجلس في الدست (صدر الديوان) وقام لقراءة عهده الشيخ سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن الأنباري “ (77) لعل هذه الاحتفالات والتشريفات التي كانت معمول بها في الخلافة العباسية ، ولكن نلاحظ أن الاحتفال الكبير بتنصيب يحيى ابن هبيرة الوزارة يدل على احترام ومحبة الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله لهذه الشخصية القوية ، وكل ما فعله من عمل لترسيخ فكرة أحياء الخلافة العباسية ، والذي كان يسعى إليه كل من الخليفة المقتفي والوزير ابن هبيرة ، من خلال استئصال السلاجقة من العراق والتخطيط والعمل والإصلاح النهوض بالخلافة العباسية نحو الاستقلال وإعادة الأمجاد القديمة الزاهرة من خلال ترسيخ قواعد الدين، والنظر في مصالح المسلمين والعمل على إصلاح الأمور الداخلية في دولا السلطة في جميع أنحاء العراق والحرص على اتخاذ قرارات جادة وبنائه وصحيحة فيما يخص العلاقات الخارجية ومع أطراف النزاع ، حيث عمل الخليفة المقتفي والوزير ابن هبيرة على إقامة العدل والإنصاف بين الرعية وأعطاه الحقوق لأصحابها ، وقبل هذا كله قاموا بمقاومة الدولة السلجوقية ، ولعل الهجومين على بغداد يعتبر بمثابة تدريب عملي للخليفة المقتفي والوزير ابن هبيرة على المواجهة الحاسمة مع السلاجقة وبسبب الخبرة التي اكتسبها ابن هبيرة حين كان مشرفاً على المخزن ثم على ديوان الزمام من خلال الإطلاع على أمور الخلافة ، وحالة القوة والضعف التي تمر بها الخلافة العباسية جعله يسعى إلى إصلاح المنظومة الإدارية والسياسية ، حيث جاءت الظروف موافقة لمآله للخليفة والخلافة فبموت السلطان مسعود سنة (547هـ/1152م) علامة فارقة في تاريخ الخلافة والسلطنة ، وهذا بالتحديد ما ذكره ابن الأثير حيث ذكر “ وفي هذه السنة أول رجب 547هـ توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمدان ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يبق له بعده راية يعتد بها ولا يلتفت إليها “ (78) ولعل هذه الحادثة فتحت آفاق وطموحات جديدة أمام الخليفة المقتفي والوزير ابن هبيرة نحو الاستقلال عن الدولة السلجوقية إقامة هيبة الخلافة العباسية فقد ذكر الأصفهاني “ فلما توفي السلطان مسعود قال الخليفة “ لا صبر على الظلم بعد اليوم ، ولا قوام مع هول هؤلاء القوم أرزاه وزيره عون الدين بن هبيرة وأعانه وثبت جنباه “ (79) وبوفاة السلطان مسعود بدء الخليفة المقتفي ووزيره ابن هبيرة في اتخاذ مجموعة من الإجراءات الجديدة للمرحلة القادمة ومنها إعادة تنظيم جيش الخلافة ، فالمرحلة السابقة وأثناء حصار مدينة بغداد سنة (543هـ/1148م) لم يكن الجيش سوء مجموعة من المتطوعين ، والتي دعت الحاجة الضرورية للاستعانة بهم إلا أن سنة (547هـ/1153م) كانت البداية الفعلية لتكوين جيش الخلافة العباسية ونادى الخليفة “أنه من تخلف من الجند ولم يحضر الديوان ، ليكتب اسمه ويجري على عاتقه أبيح دمه “ (80) كما قام باستدعاء الأمير منكوبرس المسترشد (81) من دمشق للاستعانة به وبخبراته في القتال وتعبئة الجيوش ، كما قام بفتح باب التطوع في الجيش لمن يرغب في ذلك حيث أصبح جيش الخلافة يتكون من المتطوعين من أهل بغداد ومماليك الخليفة من الأرمن واليونان والأتراك ، الذين أكثر من شرائهم الخليفة المقتفي في الفترة الأخيرة (82) ، زد عن ذلك قام الخليفة المقتفي ووزيره ابن هبيرة بخطوة اعتبرها مهمة جداً وهي ترتيب الأوضاع الداخلية للخلافة وهي تنظيف بغداد والخلافة من الخونة والعلماء والذين كانوا يحتمون بالسلاجقة ، فاستولى على خيل وسلاح شحنة بغداد مسعود البلالي ، الذي هرب إلى تكريت خوفاً من الخليفة المقتفي (83) ، كما قام بمصادرة إقطاعات الأمراء السلاجقة في العراق والحد من نفوذهم والسيطرة عليهم (84) وعلى الخونة من أصحاب المؤسسات الدينية والثقافية الذين كانوا يروجون لخدمة السلاجقة من أمثال ذلك مدرس

المدرسة النظامية أمثال ابن نجيب السهرودي وأنصاره حيث قام بزج بهم في السجون (85) ، ثم بعد ذلك قام الخليفة المقتفي والوزير ابن هبيرة بخطوات عملية عن طريق إعداد حملات بقيادة الوزير ابن هبيرة لتوجه إلى مدينة الحلة لاسترجاعها من سيطرة مسعود البلاللي الذي سيطر عليها بعد مقتل عاملها ، واستطاع الوزير ابن هبيرة من الانتصار في هذه المعركة وهروب مسعود إلى همدان (86) هذا الانتصار أعطى حافز قوي للخليفة والوزير للمضي قدماً نحو تحرير العراق من التواجد السلجوقي فكان لهم ذلك ، فلم تمض سنة (548هـ/1145م) حتى أصبحت العراق شبه محررة بفضل الوزير ابن هبيرة وقرارات الخليفة المقتفي الجريئة فقد ذكر العماد الأصفهاني بقوله “ وملك الخليفة العراق من أقصى الكوفة إلى حلوان ومن تكريت إلى عبادان “ (87) وفي خطوة ذكية تدل على حنكة وسياسة ، وقطع الطريق أمام الأمراء السلاجقة للعودة إلى العراق قام بإقطاع عون الدين ابن هبيرة جميع ماكان لوزير السلطان ، وأرباب المناصب في جميع هذه البلاد ، لقد شكلت هذه الأحداث ضربة موجعة للأمراء السلاجقة وحلفائهم في هذه المنطقة (88) ، مما جعلهم يحرضون السلطان محمد بن محمود السلجوقي على ضرورة التوجه إلى بغداد وإعادة السيطرة عليها فكان لهم ذلك (89) ، وهنا تكمن قوة شخصية الوزير ابن هبيرة في اتباع سياسات متنوعة في الإيقاع بخصومة ، حيث بدأ في ضرب الملوك والأمراء السلاجقة بعضهم ببعض عن طريق الإغراء والتحذير ، حيث وصل إلى بغداد الملك سليمان بن السلطان محمد بن ملكشاه مستجيراً ، على أثر الخلافات التي حدثت بينه وبين الأمراء السلاجقة ، فكانت هذه الحادثة ورقة رابحة يستخدمها الخليفة لضرب السلطان محمد وإشغاله عن التفكير في غزوا بغداد ، فوافق الخليفة المقتفي على قدوم السلطان بعد أن بعث الأخير زوجته وأبنه كرهائن لدى الخليفة لإظهار حسن النية ، حيث استقبل السلطان على غير العادة مما يؤكد لنا أن الوجود السلجوقي أصبح غير مرحب به في بغداد ويذكر الحسيني “ أن الملك سليمان أصبح يلقب بالملك المستجير عند أهل بغداد ” (90) ثم بدأ الخليفة المقتفي ووزيره ابن هبيرة في تنفيذ مخططه بتجهيز جيش السلطان سليمان بثلاثة آلاف مقاتل وتزويدهم بالسلح والمال وجعل له وزيراً وحاجباً وسار هذا الجيش إلى حلوان لضرب السلاجقة بعضهم ببعض ، وعلى الرغم من خسارة هذه المعركة إلا أن نتائجها كانت كبيرة جداً في تحقيق مكاسب سياسية حيث أصبح الخليفة ووزيره ابن هبيرة هما من يقودا الصراع ، وأصبحت لهم مقدره فائقة وقوة شخصية في استغلال الخلافات السلجوقية لصالح الخلافة العباسية (91) ، ولا يخفى على الجميع أن الخليفة المقتفي لإمر الله ووزيره ابن هبيرة كانوا مستعدين منذ فترة مبكرة لدخول في صراع مع الدولة السلجوقية ، فقاموا بتحضير بغداد وأسوارها ، في حفر الخنادق ، وإعداد الجيوش وتجهيز الذخائر ، وصنع الأسلحة ، وتأمين الغذاء ، وبذل الأموال ، إلى جانب ذلك وبفضل حنكة الوزير سمح للوعاظ بالجلوس لإلقاء الخطب التحفيزية على القتال والدفاع عن بغداد والخلافة العباسية ، ومع بداية الحصار السلجوقي لبغداد ، ومطالبة الخليفة بذكر اسم السلطان في الخطبة ، إلا أن الخليفة المقتفي رفض رفضاً مطلقاً هذا الطلب (92) فاتجه مسار المقاومة إلى اتجاهين الأول مقاومة الحصار بقوة السلاح ، مما يعطينا هذا التلاحم انطباعاً قوياً على مشاركة جميع شرائح المجتمع العراقي في هذه الأحداث فقد شارك العياران في مقاومة الحصار السلجوقي وقد ذكر ابن الجوزي “ وفي ليلة السبت خرج رجل من العياران يقال له أبو الحسن العيار ، فأخذ معه جماعة من الرجالة والشرطة ونزل من السور وكبس طوابع العسكر ومنهم قوم نيام وانتهبهم ووقعت الصيحة فانهزموا وعاد الرجالة إلى الباب “ (93) كما حافظ الوزير ابن هبيرة على الاستقرار الاقتصادي في بغداد ، وخوفاً من طول أمد الحصار وحفاظاً على عدم نفاذ أسواق بغداد من السلع والمواد الغذائية أظهر الوزير عبقرية نادرة حيث ذكر ابن الأثير “ وكانت الغلات ببغداد كثيرة لأن الوزير كان يفرقها بالجند عوضاً عن الدنانير ليبيعونها فلم تزل الأسعار عندهم رخيصة (94) “ وفي الاتجاه الآخر قام الوزير بالإيقاع بين الأمراء المحاصرين حتى يتسنى له إفشال الحصار وزرع الفتنة فيما بينهم “ وكان الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة يرسل الأمراء السلطانية في السر وينفذ إليهم التحف والمنح والدنانير ويظهر لهم أن هذه العلوفه التي يجب إنفاذها لهم “ ويذكرهم بوجوب طاعة الخليفة وعدم الخروج عليه ، حيث أثمرت هذه المراسلات عن بعض النجاحات إذا وقع شجار بين محمد شاه وكوجك فخاف كل واحد منهما صاحبه ، كما ضغط نور الدين زنكي على زين الدين على كوجك وعنفه على قتال أمير المؤمنين ففقر وأقصر (95) ، ولعل تركيز الوزير ابن هبيرة على الجبهة الداخلية وتقويتها وشهد الهمم كان قوياً جداً حتى لا تتعرض بغداد لا سمح الله إلى الهزيمة ، حيث منع المحاصرون من الاتصال بأعوانهم في الداخل فقد كانت العيون التي زرعه الوزير ترصد كل تحركات المعسكر السلطاني في الداخل ، بل وذهب الوزير إلى أكثر من ذلك عندما استطاع أن يضرب السلطان محمد في عقر داره ، فقد بعث إلى الأتابك شمس الدين ألدكر وحثه على التحرك مع ثلة من الجنود إلى همدان عاصمة السلطان محمد ، وكان القصد من هذا العمل هو تخفيف عبء الحصار على بغداد ، وبذلك عندما علم السلطان محمد بذلك توجه إلى همدان لإنقاذ عاصمته بعد حصار دام ثلاثة أشهر (96) ، وبهذه الأعمال الجلييلة التي قام بها الوزير ابن هبيرة والخليفة المقتفي ، تخلصت الخلافة العباسية من التسلط السلجوقي الذي كان جائثاً على صدر الخلافة لسنوات عديدة ، كما عبر العامة في بغداد عن غضبهم عندما قاموا بنهب دار السلطنة وما تحويه من أموال كثيرة وأثاث (97) ، فقد مثلت هذه الانتصارات

للخلافة العباسية بداية النهاية للوجود السلجوقي ، حيث أصبحت الخلافة أكثر تنظيماً وقوة وتخضع لقيادة واحدة ووزير يمارس جميع مهامه بحريه تامة وقد وصفها عماد الأصفهاني بقوله “ ولما تمت على أولئك القوم في أملهم الخيبة ، وتملكتهم من جانب أمير المؤمنين الهيبية “ (98) ، لقد كانت أسهامات الوزير ابن هبيرة كبيرة جداً ، ولعل السنوات التي قضاها الوزير ابن هبيرة في خلافة المقتفي لأمر الله وولي عهده المستنجد بالله العباسي زادت من الثقة فيما بينهم فالكل ينضرب إلى الوزير ابن هبيرة باحترام وهيبة لما قدمه من أعمال جليلة للخلافة العباسية ، وبعد وفاة الخليفة المقتفي لأمر الله سنة (555هـ/1160م) وولاية الخليفة المستنجد بالله ، حيث أقر ابن هبيرة على وزارته حتى قال له إلى متى فقال حتى الممات فأخذ الوزير يد الخليفة ليقلها (99) ، وهذه الثقة الكبيرة التي منحها الخليفة المستنجد بالله للوزير ابن هبيرة كانت مبنية على سنوات من العمل مع بعضهم البعض في حياة أبيه الخليفة المقتفي لأمر الله ، فباشروا الوزير في مهامه ، في القضاء على المفسدين ونشر الأمن ومحاربة التطرف ، ومن أهم الإصلاحات الإدارية هي إقامة العدل بين الناس ورد المظالم إلى أهلها ، حيث قبض في سنة (555هـ/1160م) على ابن المرخم الذي كان قاضياً ظالماً مرتشياً فعوقب وضرب ضرباً مبرحاً ثم سجن اعترف بأخذ أموال من الناس ، وكذلك عزل قاضي القضاة أبو الحسن علي بن أحمد الدمغاني لشبهة كانت به ، كما قبض على ابن الفقيه في نفس السنة وكان نائب بالمخزن لعدم ثقة الخلافة به ، ورفعت يد علاء الدين ابن الزيني على الحسبة لعدم قدرته على ضبط الأمور ، وفي سنة (558هـ/1162م) قبض على صاحب الديوان ابن جعفر لعدم صلاحية في الإدارة والعمل ووكّل بعمله إلى ابن حمدون (100) ، هذه جملة من الإصلاحات الإدارية المهمة التي قام بها الوزير ابن هبيرة بمباركة الخليفة المستنجد بالله للإصلاح حال الخلافة ، وتخفيف الأذى عن الرعية حتى ذكر ابن الأثير بقوله “ وكان شديداً على أهل العبث والفساد والسعاية بالناس وسجن الكثير من المتنفذين الذين كانوا يظلمون الناس ويأخذون حقوقهم “ (101) ، كما قام بالقضاء على الأمراء المشكوك في ولائهم ومنهم الأمير تشك صاحب اللهب الذي رفض قيادة الحملة العسكرية إلى البندنيجين التي تعرضت لهجوم التركمان في سنة (556هـ/1161م) حيث قبض العسكر على الأمير وإرسل برأسه إلى بغداد وذكر ابن الجوزي “ لانهم دعوه فأبى أن يحضر وأضرر الغدر “ (102) ، ومن خلال ذلك عمل الخليفة المستنجد والوزير ابن هبيرة على كبح جماح الخارجين عن القانون، من أمثال بنو خفاجة في الحلة، والكوفة الذين نهبوا سوادها مطالبين الخلافة برسومهم من الطعام والتمر ، كما عبروا عن غضبهم بالتعرض إلى القوافل الحج ، التي كانت تمر من ديارهم ، فأرسل إليهم الخليفة الوزير ابن هبيرة فأجلاهم إلى البادية فأرسلوا إلى بغداد يطلبون العفو ، فلم يلتفت إليهم (103) ، ولم يكن حال بني أسد أفضل من بنو خفاجة فهم الذين ساعدوا السلطان محمد أثناء حصاره لبغداد سنة (552هـ/1157م) كما قاموا بإفساد الحياة العامة والتعرض للقوافل فاجبرهم الخليفة على ترك الحلة فتفرقوا في البلاد (104) ولتأمين الجوانب الدفاعية والمحافظة على الأمن العام للخلافة قام الخليفة وبمساعدة الوزير ابن هبيرة في السيطرة على قلعة الماهكي في سنة (557هـ/1162م) والتي كانت تحت سيطرة المملوك سنقر الهمداني ونتيجة لضغفه وخوفه من تسلط الأكراد والتركمان عليها قام الخليفة بشرائها بمقابل خمسة عشر ألف دينار (105) ، أما على الصعيد الاقتصادي فقد بادر الخليفة ووزيره ابن هبيرة في رفع المعاناة على الرعية حيث قام بإسقاط العديد من الضرائب والمكوس فيما يتعلق بسوق الخيل والجمال والغنم والسمك والبيع في جميع أعمال العراق (106) ، وضرب المخالفين المفسدين والحد من خطرهم حيث طبق أشد العقوبات في حقهم حتى تتحقق الفائدة ويعم الاستقرار ، لعل الجهود التي قام بها الوزير ابن هبيرة والتي بذلها في محاربة الفساد الإداري والقضاء على القوى المختلفة في العراق التي كانت تثير القلاقل واضطرابات وتهدد أمن الناس وتثير الرعب ، مما جعل الجمهور يشعر بالأمن واستقرار في فترة وزارة ابن هبيرة ، بعد عقود من الخوف والفساد وضياع حقوق الناس ، كل هذه الإصلاحات كفلت للناس حياة كريمة في الأرزاق والأملاك ، وهذا ما أشار إليه ابن الجوزي حيث ذكر في سنة (556هـ/1161م) “ رخص السعر فبيع اللحم أربعة أرطال بيقراط وكثر البيض فبيع مائة بيضة بيقراط “ (107) وبفضل هذه الإصلاحات عم استقرار ورجعت الخلافة العباسية إلى سابق عهدها تمارس جميع صلاحياتها بكل حرية واستقلال ، لقد شهدت الفترة الأولى من خلافة المستنجد بالله العباسي استقرار كبير وتطور لافت بفضل حكمة وقيادة الوزير ابن هبيرة على رأس الجهاز الإداري ، ولكن بعد وفاة الوزير ابن هبيرة سنة (560هـ/1164م) أصبح هذا المنصب شاغراً لمدة حوالي ثلاثة سنوات ، لقد كانت وفاة الوزير يحيى ابن هبيرة ، تطرح العديد من التساؤلات ، حيث ذكر ابن الجوزي “ كان الوزير صحيحاً ليس به قلبه في يوم السبت الثاني عشر جمادى الأولى من هذه السنة نام ليلة الأحد في عافية ، فلما كان وقت السحر قاء فحضر طبيب كان يخدمه يقال له ابن رشادة فسقاها شيئاً فيقال أنه سمه فمات وسقى الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سماً فكان يقول سقيت كما سقيت فمات “ (108) ، ولتأكيد ذلك الخبر ذكر ابن الجوزي والذي قام بغسله “ ورأيت في وقت غسله آثاراً بوحه وجسده تدل على أنه مسموم (109) ، وإن يكن الأمر كذلك فإن هذه

الشخصية كان لها دور كبير وهام جداً في إعادة الهبة والقوة للخلافة العباسية في زمن الخليفة المقتفي والخليفة المستنجد بالله ، لما قام به من أعمال جليلة وقرارات حكيمة .

الخاتمة .

مما تقدم عرضه يمكن القول إنَّ الوزير يحيى بن هبيرة استطاع أن يُضفي على الوزارة أشياء جديدة لم تكن عند سابقه ، حيث استطاع أن يجمع بين وزارة القلم ووزارة السيف كخطوة أولى في تاريخ الخلافة العباسية ، بفضل ما وصل إليه ، من اكتسابه للعديد من العلوم حيث كان بمثابة علامة فارقة في عصره ، إلى جانب ذلك لعبت البيئة القاسية التي تربى فيها في بداية حياته ومنشأه ، حيث صفقت هذه الشخصية وزرعت فيها خصال كثيرة كانت بمثابة مكارم الأخلاق ، فالدين والبساطة كانت أساساً لهذه الشخصية على الرغم مما مر به من صعوبات ومحن كبيرة ، ولكن بفضل الصبر والمثابرة وكثيراً من العزم استطاع يحيى بن هبيرة أن يتدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب الوزارة ، على الرغم مما تمر به المنطقة في تلك الفترة من التسلط السلجوقي ، على أركان الخلافة العباسية ، حيث كان القدر يخبئ الكثير لهذه الشخصية وبفضل دينه وعلمه وسمو أخلاقه وقراراته الحكيمة ، أصبح الشخصية المقربة من الخليفة المقتفي لأمر الله لينطلق نحو الإصلاح والتعمير، حيث آمن بمشروع الخليفة المقتفي لأمر الله في ضرورة إعادة الهبة والقوة للخلافة العباسية عن طريق تحريرها من التسلط السلجوقي ، حتى أصبح اليد التي تبطش واليد التي تبني فعلاً معاً لإصلاح الخلافة من الداخل ومحاربة الفساد والقضاء على الفتن والاضطرابات ، وشهد الهمهم نحو إرساء قواعد ثابتة في القضاء على المفسدين وضعاف النفوس ، فكان النصر حليفهم بسبب قوة الإرادة ، والأراء الحكيمة فكون الجيوش وقادها نحو الانتصارات الباهرة ، حيث تحمل العبء الأكبر في صراع الخلافة العباسية مع الدولة السلجوقية ، وحتى بعد وفاة الخليفة المقتفي لأمر الله استمر في منصبه كوزير للخليفة المستنجد بالله ليستكمل المشروع الذي بدأه مع أبيه الخليفة المقتفي في استقلال العراق وتخليصها من التسلط السلجوقي ، لتنتهي رحلة شخصية عظيمة استطاعت أن تكتب اسمها بأحرفٍ من نور، سواءً على الصعيد الشخصي أو على الصعيد العام ليقلل الستار على أهم مراحل الخلافة العباسية وصراعتها نحو ترسيخ نفوذها الديني والسياسي ، حيث رحلت هذه الشخصية في ظروف غامضة في سنة (560هـ/1170م) تاركاً وراءه أثر عظيم ومجد ثلثت لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل تاريخ الخلافة العباسية التي فقدت ركيزه أساسية من أعمدة الخلافة.

الهوامش:

- 1- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد (17) رجب 1417هـ / 1996م ص ص 363 ، 364 .
- 2- ابن خلكان ، إبي العباس شمس الدين احمد بن محمد ابن أبي بكر ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تج ، إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ج 6 ، 1977م ، ص 230 .
- 3 - ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، 1358هـ ، ج 10 ، ص 214 .
- 4 - ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي ، معجم البلدان ، دار صادر بيروت لبنان ، 1977م ، ج 2 ، ص 443 .
- 5 - سبط ابن الجوزي ، شمس الدين إبي المظفر يوسف بن قزأوغلي علي بن عبد الله ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تج ، أبراهيم الزبيبي ، شركة العالمية دمشق ، الحجاز 2013م ، ج 21 ، ص 59 .
- 6 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 215 .
- 7 - ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ص 312 .
- 8 - المصدر نفسه ، ص 312 .
- 9 - ابن رجب ، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي ، الذيل على طبقات الحنابلة ، تج ، محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، ج 1 ، 1952م ، ص 251 .
- 10 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 231 .
- 11 - ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 251 .
- 12 - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 176 .
- 13 - الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي بن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تج عبد القادر الحسني ، مكتبة القدس ، ج 4 ، 1350 هـ ، ص ص 80 ، 81 .
- 14 - المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 116 .

- 15 - الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، العبر في خير من عبر ، تح ، أبو هاجر محمد السعيد بن بليون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، 1985م ، ص 430 .
- 16 - ابن الأثير ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الكامل في التاريخ ، تح ، محمد يوسف الرقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 9 ، 2002م ، ص 260 .
- 17 - ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي الاتاكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، ج 5 ، 1935 م ص 261 .
- 18 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص ص 342 ، 343 ، 344 .
- 19 - السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، 1964 م ، ص 363 ، 364 .
- 20 - ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 252 .
- 21 - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 252 .
- 22 - بدوي ، عبد المجيد أبو الفتوح ، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد ، دار الوفاق للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ، مصر ، ط 2 ، 1988 م ، ص 200 .
- 23 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 128 .
- 24 - السبكي ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين ، الطبقات الشافعية الكبرى المطبعة الحسينية المصرية ، ج 4 ، ص 309 .
- 25 - السبكي ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين ، تح ، محمود محمد الطناحي وآخرون ، دار أحياء الكتب العربية ، ج 7 ، ص 168 .
- 26 - ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 279 ، 280 .
- 27 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص ص 214 ، 215 .
- 28 - الإصفهاني ، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد ، تاريخ دولة آل سلجوق ، مطبعة الموسعات ، مصر ، 1900م ، ص ص 202 ، 203 ، الحسيني ، صدر الدين علي بن ناصر ، زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية تح محمد نور الدين ، دار أقرا للنشر ، 1985 ، ص 226 .
- 29 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 231 ، 232 .
- 30 - ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 258 ، 259 ، 261 ، 276 .
- 31 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 214 .
- 32 - الحنبلي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 191 .
- 33 - ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 259 .
- 34 - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص ص 259 ، 260 .
- 35 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 193 .
- 36 - كان من أفضل أهل بغداد أديباً شاعراً عارفاً بالحديث رواه عن مجموعة (ت569هـ/1174) أنظر ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 62 .
- 37 - أبو الفضل محمد ابن الحسين بن العميد من وزراء الدولة البويهية ، ومن كبار كتابها وأدبائها أخباره كثيرة في المصادر (ت360هـ/970م) أنظر ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج 5 ص 105 .
- 38 - ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 262 ، 263 .
- 39 - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 282 .
- 40 - ابن الطقطقا ، المصدر السابق ، ص 312 .
- 41 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 215 ، ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ص 256 .
- 42 - يافوت الحموي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 481 .
- 43 - ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر ، تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ج 2 ، 1996م ، ص 67 .
- 44 - ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 256 ، 261 .
- 45 - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 262 .
- 46 - نفسه ، ج 1 ، ص 283 .
- 47 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص ص 214 ، 215 .

- 48 - الشحنة هو بمثابة مندوب للحاكم يعين في المدن التابعة له ، وكانت مهمته مراقبة القوى الأخرى المعارضة ، ومن مهامه السيطرة على الإدارة والمحافظة على الأمن وتحصيل الضرائب والمكوس ، انظر ، القزاز ، محمد صالح داود ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ، مطبعة القضاء النجف ، العراق ، 1997 ، ص ص 130 ، 131 ، 132 ، تناول موضوع الشحنة في سياق الحديث عن الشرطة .
- 49 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 215 ، ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ص 256 .
- 50 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص ص 215 ، 216 ، ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 254 ، 255 .
- 51 - الحنبلي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص ص 194 ، 195 ، ابن رجب ، المصدر السابق ج 1 ، ص 263 .
- 52 - المقففي هو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، سمع الحديث ونال حظاً جيداً من العلم وتولى الخلافة سنة (530-555هـ/1135-1160م) كان عالماً أديباً شجاعاً دمث الأخلاق قليل المثل في الخلفاء وفي عهده عادت بغداد والعراق إلى أيدي الخلفاء العباسيين . أنظر ابن الأثير المصدر السابق ، ج 9 ، ص 438 .
- 53 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 214 .
- 54 - المستنجد هو أبو المظفر يوسف ابن المقففي لإمر الله بوبع له بالخلافة سنة (555/1160م) معروف بالعدل والرفعة أزال المكوس والضرائب ، فكان موصوفاً بالفهم والذكاء وله مشاركات في الأدب معرفة الفلك والأسطرلاب . أنظر ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص ص 192 ، 193 .
- 55 - ابن الطقطقا ، المصدر السابق ، ص 312 .
- 56 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 233 .
- 57 - ابن رجب ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 260 .
- 58 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 215 .
- 59 - مقابلة ، معن أحمد علي ، أحياء الخلافة العباسية ، مؤسسة حمادة ، عمان ، الأردن ، 2012م ، ص 31 ، 32 ، 33 ، 34 .
- 60 - ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي ، البداية والنهاية ، تح حسان عبد المنان ، بيت الأفكار الدولية ، ج 1 ، 2004م ، ص ص 1887 ، 1888 .
- 61 - مقابلة ، المرجع السابق ، ص ص 47 - 70 .
- 62 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 53 .
- 63 - ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الباهر في الدولة الأتابكية ، تح ، عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة القاهرة ، مصر 1963م ، ص 51 .
- 64 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 1887 .
- 65 - مقابلة ، المرجع السابق ، ص ص 64 - 90 .
- 66 - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص ص 292 ، 293 .
- 67 - مقابلة ، المرجع السابق ، ص 93 .
- 68 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 61 .
- 69 - المصدر نفسه ، ج 10 ، ص 132 .
- 70 - نفسه ، ج 10 ، ص 70 ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص 355 .
- 71 - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص ص 363 ، 364 .
- 72 - القلانسي ، إبي يعلى حمزة ، ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت ، لبنان 1908م ، ص 302 .
- 73 - ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ج 10 ، ص 133 .
- 74 - الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص 203 .
- 75 - المرجع نفسه ، ص 203 .
- 76 - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص ص 363 ، 364 .
- 77 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 232 ، 233 .
- 78 - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص 373 .
- 79 - الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص 214 .
- 80 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 147 .

- 81 - منكوبرس المسترشدي هو أحد أمراء الخليفة المسترشد بالله العباسي ، توجه إلى الشام بعد مقتل الخليفة المسترشد بالله وشارك في جهاد الصليبيين في الشام ، وقد أبلى في ذلك بلاءً حسناً ، تزوج من بنت صاحب دمشق معين الدين ، ولما خلص العراق للخليفة المقتفي لإمر الله استدعاه من دمشق وفوضى إليه ولاية البصرة ، وكان خبيراً بترتيب الجيوش وأسباب الحرب انظر . الحسيني ، المرجع السابق ، 245 .
- 82 - الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص 215 .
- 83 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 147 .
- 84 - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص 374 .
- 85 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 147 .
- 86 - المصدر نفسه ، ج 10 ، ص 148 .
- 87 - الأصفهاني ، المرجع السابق ، ص 215 .
- 88 - المرجع نفسه ، ص 215 .
- 89 - ابن الأثير ، الباهر في الدولة الأتابكية ، ص ص 108 ، 109 .
- 90 - الحسيني ، المرجع السابق ، ص 253 .
- 91 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص ص 164 ، 165 .
- 92 - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص 409 .
- 93 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 174 .
- 94 - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص ص 409 ، 410 .
- 95 - الحسيني ، المرجع السابق ، ص 248 .
- 96 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص ص 174 ، 175 .
- 97 - المصدر نفسه ، ج 10 ، ص 175 .
- 98 - الإصفهاني ، المرجع السابق ، ص 219 .
- 99 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 193 .
- 100 - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص 439 .
- 101 - المصدر نفسه ، ج 10 ، ص 29 .
- 102 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص ص 199 ، 200 .
- 103 - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص 451 ، ابن الجوزي ، المصدر السابق ج 10 ، ص ص 200 ، 203 .
- 104 - النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في صناعة الأدب ، تح ، عبد الحميد ترجيني ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 23 ، 2004م ، ص 173 ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص 464 .
- 105 - النويري ، المصدر السابق ، ج 23 ، ص 173 ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ص 457 .
- 106 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 194 ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ص 439 .
- 107 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 200 .
- 108 - المصدر نفسه ، ج 10 ، ص 216 .
- 109 - نفسه ، ج 10 ، ص 216 .